فلسطين واشهر آثارها

لحضرة نجيب افندي نصار الخوري اللبناني في طبريا

تكلمنا في المقالة الاولى عن اشهر مدينة في فلسطين وهي مدينة القدس او اورشليم . وقبل الاستطراد الى باقي الاماكن والبلدان المشهورة في هذه القطعة التاريخية المقدسة عند الامم الثلاث نذكر شيئاً عن مملكة بني اسرائيل القديمة تمهيداً للموضوع

ان بني اسرائيل لم يستولوا استيلاءً تاماً الاَّ على قسم سوريا الواقع غربي الاردن — ما عدا الارياف البحرية الجنوبية من يافا حتى غزة وهي بلاد الفلسطينيين الحقيقية من غزة مملكة الاسرائيليين من بئر سبع على مسافة نحو ثلاثين ميلاً الى الجنوب الشرقي . وامتدت حتى دان اي تل القاضي الواقع عند سفح جبل حرمون وراء سهل الحولة . وانقسمت هذه المملكة في ايام الملك رحبعام بن سليمان الى مملكتي يهوذا واسرائيل . فانحصرت مملكة يهوذا الجنوبية في القسم الواقع حوالى القدس بين بئر سبع جنوباً ورامة بنيامين على بعد ثمانية اميال من القدس شمالاً . وتضمنت مملكة اسرائيل البلاد الواقعة شمالي تلك . وانقسمت اراضي هاتين المملكتين بعد سبي نبوخذنصر الى ثلاث مقاطعات . وهي مقاطعه اليهودية ويمكن حصرها تقريباً في متصرفية القدس الحالية . ومقاطعة السامرة وهي ما تحتويه متصرفية نابلس بدون فرق كبير . ومقاطعة الجليل وهي بلاد الناصرة وطبريا وصفد الحالية

وقد قسم الرومانيون البلاد بعد ذلك الى اربع ولايات ومقاطعات لا يمكننا ذكرها لضيق المجال لانها كانت تختلف كثيراً باختلاف الازمان والعمال والحروب

اما بلاد اليهودية فهي بلاد جبلية وعرية قليلة الخصب والقسم الجنوبي الشرقي منها الواقع حوالى البحر الميت برية جدباء . ومن اشهر مدنها القدس التي مر الكلام عليها . ويافا وهي موضوع كلامنا الآن

يافا

يافا فرضة بحرية واقعة على اكمة تعلو قليلاً عن سطح البحر في نقطة متوسطة بين غزة وراس الكرمل وعلى مسافة نحو ٣٥ ميلاً الى الشمال الغربي من القدس وهي كائنة في طرف سهل شارون الخصيب الذي تغزل سليمان الحكيم بجمال ازهاره

﴿ تاريخها ﴾ هي من اقدم مدن العالم وقد كانت تُدعى جافو لاعتبار بعضهم ان

اسمها مشتق من يافث ابن نوح ويوبا لزعم آخرين انه مشتق من اصل عبراني ومعناه جميل . وجوبا نسبة الى جوبا ابنة عولص التي ربطت مع اندروميدا ابنت زفس الى صخر في البحر هناك وتركتا عرضة لحيتانه حتى اطلقهما برسوس . قال احد المؤرخين ان ملاحي اليونان لفقوا هذه الحكاية مما وصل اليهم من رواية يونان النبي والحوت

واول ما ورد ذكر يافا في سفر يشوع بن نون غير انها اشتهرت في ايام الملك سليمان بانها كانت ميناء مملكة اسرائيل . ومنها هرب يونان وجرى ما جرى له كما هو مذكور في سفره . ولقد ظن الكتبة ان حسن موقعها كان السبب في نجاتها من الخراب في غزوة نبوخذنصر . وجاء في سفر المكابيين انها كانت امنع حصن في فلسطين . وكان سكانها يومئذ اخلاطاً من مكدونيين ومصريين وسوريين ويهود . واذ اتفقت الفرق الثلاث الاولى على اليهود وثاروا عليهم وطرحوا منهم عدداً في البحر هاجمها يهوذا المكابي ليلاً واخذها واحرق سفنها بمن لجاء اليها من تلك الفرق . وقد هاجمها ساستيوس في سنة ٦٣ مسيحية واحرق الوفاً من سكانها وضمها الى الولاية السورية الرومانية . ثم سُلخت عنها واعطيت لهيرودس الكبير . وبعد عزل ابنه ارخيلاوس اعيدت مع باقي فلسطين الى الولاية السورية الرومانية وقد غزاها ساستيوس غالوس في سنة ٦٦ مسيحية . ثم تجمع اليها اليهود من انحاء فلسطين فارسل اليهم فسباسيانوس فرقة من جنده من قيصيرية فالتجاءوا الى السفن . فهبَّت عليها عاصفة كسرتها واغرقتهم . ثم قتل العسكر الروماني من نجا منهم على الشاطئ

ودخلها الدين المسيحي منذ ايام الرسل . وفيها رأى بطرس رؤياه « ان يذبح ويأكل مما انزل الله عليه في ملاءة من السماء واوحي له ان لا ينجس ما خلقه الله تعالى » وهذه الرؤيا وقعت كالضربة القاضية على تقاليد اليهود القديمة وجرأت الرسل على المناداة بالمساواة بين جميع الشعوب وحلت الطائفة المسيحية ومستقبلها من قيود الشريعة اليهودية وما أُلحق بها من التقاليد بوجوب تحريم بعض المآكل وتحليل الاخرى واعتبار هذا طاهراً وذاك نجساً

وصارت المدينة في ايام قسطنطين كرسي اسقفية وبقيت كذلك الى الفتح الاسلامي اذ صارت ميداناً لحروب دموية متتابعة بين الفاتحين والصليبيين الجاءت سكانها الى الهرب من ويلاتها . فبقيت مهجورة حتى اوائل القرن السابع عشر اذ اطمأن الناس فعادوا اليها وعمَّروها . وبالنظر لحسن موقعها التجاري كانت تنمو نمواً سريعاً . وفي سنة ١٧٩٩ هاجمها بونابرت وكانت يومئذ تحت ولاية الجزار . ولما لم تفتح له ابوابها هدم اسوارها ودخلها

عنوة وقتل الفاً ومئتي اسير ممن اسرهم فيها بدعوى انهم خانوا عهده وعادوا الى محاربته قبل انتهاء الاجل الذي ضربه لهم في ان لا يعودوا الى مثل ذلك عندما اطلق سراحهم بعد اسره اياهم في موقعة العريش . فحسب له التاريخ هذه وتسميمه الجنود التي اصيبت بالطاعون من جيشه فظائع ضد الانسانية

و بعد ما غادر نابوليون المدينة عاد الانكليز فرمموها ولم تلبث طويلاً حتى نمت كثيراً وهي لا تزال آخذة في النمو بالابنية وعدد السكان . ولها سهم كبير في التجارة بصادرات البلاد كالحنطة والذره والسمسم والبرتقال والصابون وغير ذلك . وهي الميناء الاولى للسياح وزوار البلاد الفلسطينية . فتربح بذلك ارباحاً جزيلة

﴿ سكانها ﴾ كان عددهم ستة آلاف يوم غزوة بونابرت ولكنهم بلغوا الثلاثين في يومنا هذا منهم نحو خمسة عشر الفاً من المسلمين وسبعة آلاف من المسيحيين وستة الاف من الاسرائيليين . والباقون اجانب من الالمان واليونان وغيرهم

﴿ المدينة ﴾ مركز قائمقامية من الصنف الاول تابعة لواء القدس وقد جددت فيها محكمة تجارية لاتساع تجارتها وفيها وكلاء لقناصل الدول الاجنبية وعدة مدارس للحكومة والجمعيات الخيرية ومستشفيات خيرية انكليزية وفرنسوية والمانية

﴿ ابنيتها ﴾ ان ابنيتها كباقي المدن الشرقية القديمة عديمة الانتظام ومزدحمة . اما الابنية الجديدة فمتقنة وجميلة ولا سيما خارج البلد . ومن جهة المدينة الشمالية الشرقية مستعمرة المانية جميلة جداً تتخلل ابنيتها الطرق الواسعة المستقيمة وتحيط بها الجنائن الصغيرة الغاصة بالاشجار والازهار وفي المستعمرة فنادق كبرى متقنة معدة لقبول السياح والغرباء واسواقها القديمة ضيقة وقذرة اما الجديدة في شرقي المدينة وشماليها وجنوبيها فهي احسن من تلك كثيراً ويلقى الناظر فيها ما يدل على الهيئة المدنية

وفي جهتها الجنوبية بقرب الفنار جامع صغير يُظن انه في مكان بيت سمعان الدباغ الذي راى فيه بطرس رؤياه غير ان ذلك يحتاج الى اثبات

﴿ ميناؤها ﴾ شبيه بمرفاء صغير محاط بصخور طبيعية هائلة اكثرها تحت سطح المياه . والمدخل الى هذا المرفاء ضيق بين صخرين كبيرين فيخاف الملاّحون من عبور القارب في ذلك المضيق ابان الانواء التي تتعاظم كثيراً اثناء هبوب الرياح الصرصرية حتى لا تعود السفن تجسر على الوقوف في تلك الميناء . وقد قال بعض الكتبة ان المرفاء كان اصطناعياً في الاعصر القديمة وان ابنيته كانت قائمة على الصخور الطبيعية الحالية غير

انه يستدل من وصف يوسيفوس ان حالة الميناء القديمة لم تكن الا كما هي اليوم . وحبذا لو تهتم الحكومة في تحسين هذا المرفاء وجعله امينًا فيكون ذلك سببًا لتقدم كل فلسطين الجنوبية ونجاحها نجاحًا عظيمًا

﴿ سكتها وجنانها ﴾ و يسير القطار الحديدي ذهابًا وايابًا مرة في كل يوم بين يافا والقدس ويقطع مسافة الطريق البالغة اربعة وخمسين ميلاً في ثلاث ساعات واربعين دقيقة . والمدينة محاطة بجنائن البرتقال اليافي الذائع الشهرة في جميع البلدان . ولزهره رائحة عطرية تعطر الارجاء والنواحي في فصل الربيع . وللثمر بعد نضجه منظر بين اغصانه الخضراء الغضاء يأخذ بمجامع القلوب . وتُرسل منه مقادير كثيرة الى اوروبا فيربح اليافيون به ارباحًا وافرة

اللد

اللد واقعة على مسافة اثنى عشر ميلاً الى الجنوب الشرقي من يافا ومحاطة بكثير من اشجار التين والزيتون والتوت والرمان والصبر الكثير الذي تتناثر اشواكه الدقيقة في الرياح فيصيب الاعين نصيبها منه ولذلك تكثر الامراض البصرية في اللد . وفيها محطة للسكة الحديدية وقد كانت قديمًا على طريق القوافل التجارية بين بلاد الشام ومصر . ولذلك لم تكن قليلة الاهمية

﴿ تاريخها ﴾ يدعوها العبرانيون لود ولودًا والرومانيون ديوسبوليس . ولم تكن ذات شهرة في عهد الاسرائيليين وقد سكنها البنيامينيون منهم بعد العودة من السبي . وسلخها ديمتريوس نيكانور عن السامره وضمها الى اليهودية دلالة على رضائه عن المكابيين . وبعد موت يوليوس قيصر باع كاسيوس اهلها عبيدًا فحررهم انطونيوس بعد ذلك بقليل . وقد سبب شفاء بطرس اينياس المفلوج من دائه انتشار الدين المسيحي فيها . واحرقها ساستيوس غالوس في طريقه الى القدس فلم يمضِ عليها زمان طويل حتى عادت الى العمران . ويشهد بذلك وصف يوسيفوس لها حين سلمت لفسباسيانوس بقوله عنها : انها قرية لا تقل عن مدينة في حجمها وعدد سكانها . وانه كان فيها مدرسة يهودية اسرائيلية شهيرة . وجعلها المسيحيون كرسي اسقفية في القرون الاولى بعد المسيح . وبقيت في زمن المسلمين عاصمة جند فلسطين حتى بنى سليمان بن عبد الملك مدينة الرملة ونقل كرسي الولاية اليها . وزهت كثيرًا في ايام الصليبيين الذين اعادوا بناء كنيسة مار جرجس فيها . ولكن لم تلبث طويلاً حتى اصابها ما اصاب غيرها من جراء الحروب وتداول الايدي لها . ويروى ان بعض المسلمين

يعتقدون ان المسيح يقضي على المسيح الدجال عند ابوابها . وقد خربها المغوليون في سنة ٢٧١ وبقيت في حالة الاهمال الى اواخر القرن السابع عشر اذ عمرها اهالي يافا

﴿ كنيسة الشهيد جورجيوس ﴾ لم يوفق الباحثون بعدُ الى معرفة بانيها كما انهم لم يتفقوا كلهم على كون القديس المذكور دُفن فيها . واصح ما قيل انه ولد في اللد واستشهد في اواخر الجيل الثالث في نيكوديميا على اثر الاضطهادات التي ثارت على المسيحيين في عهد ديوكليشيان ومكسيميان وان عظامه نُقلت من هناك الى اللد . وقد قال البعض ان جوستينيانوس هو الذي بنى هذه الكنيسة غير ان بروكوبيوس الذي يعدد الابنية والآثار التي شادها هذا الامبراطور لم يات على ذكر هذه الكنيسة في اللد بل ذكر كنيسة باسم هذا القديس في ارمينيا . والذي يتبادر الى الذهن ان كنيسة اللد بُنيت قبل تلك بزمن طويل . وقد بنى المسلمون على آثارها جامعاً في اواخر القرن الخامس عشر . غير ان الحكومة جادت به من زمن غير بعيد على الروم الارثوذكس

الرملة

الرملة واقعة على مسافة ثلثة عشر ميلاً ونصف الى الجنوب الشرقي من يافا على ارض رملية ولذلك دعاها بانيها الخليفة سليمان بن عبد الملك الذي كان مدة خلافة اخيه والياً على جند فلسطين « الرملة » . وقد بناها في سنة ٧١٦ مسيحية . غير ان اسمها هذا جعل بعض الكتبة يظنون بكونه محرفاً عن (رعمقايم صوفيم) المذكورة في التوراة واقتاد آخرين الى تاويله الى رامة صموئيل . وقال غيرهم انه مشتق من اريماثا المذكورة في الانجيل . ولكن المدققين لم يحفلوا بهذه الآراء لان مؤرخي المسلمين اثبتوا حقيقة زمن بنائها

﴿ تاريخها ﴾ واول ما بنى سليمان المذكور قصره ثم داراً للصباغين واسس الجامع وشرع في بنائه واتصلت اليه الخلافة بوفاة اخيه فاتمه . واتم بناء المدينة عمر بن عبد العزيز الذي تولى على جند فلسطين بعده . وقد قال المقدسي ان المدينة كانت ذات سور وحصن واسواق . وان لها اثنى عشر باباً . وقال الادريسي ان اسواقها الكبيرة كانت متصلة بابوابها الاربعة الكبرى وانها كانت ذات اهمية كبرى لانها كانت داراً لحكومة الجند الفلسطيني وقد احرقها ايفالين في سنة ١١٧٧ . وفي سنة ١١٨٧ استولى عليها صلاح الدين غير انه احرقها بعد ذلك مع كنيسة اللد خيفة من استيلاء ريشارد قلب الاسد عليها . وبعد عقد الهدنة بين هذين الرجلين العظيمين جعلوا الرملة مناصفة ثم اعطيت كلها للصليبيين فاستخلصها منهم السلطان بيبار . وزارها بيلون في سنة ١٥٤٧ فلم يجد فيها اكثر

من اثنى عشر بيتاً وزارها نابوليون الكبير واقام فيها ليلة واحدة . وهي الآن قرية كبرى فيها نحو سبعة آلاف من المسلمين والف من المسيحيين الارثوذكس وهي مركز مديرية تابعة يافا وفيها محطة للسكة الحديدية وفندق الماني

﴿ جامعها ﴾ واقع في جهة المدينة الغربية الحالية وقد كان واقعاً في وسط المدينة القديمة . ولقد ذكرنا بانيه . وقد قال المقدسي انه لامثيل لمحرابه في كل البلاد الاسلامية . اما مأذنته فبناها هشام ابن عبد الملك بمواد كان المسيحيون اعدوها لبناء كنيسة بلعة وتهددهم بهدم كنيسة اللد اذا لم يعطوه المواد لبناء تلك المأذنة . فاستدل بعض كتبة المسيحيين الجاهلين حقيقة هذه الرواية من شكل هذه المواد على ان الجامع كان كنيسة ومأذنته قبة جرس . ولهذه المأذنة نظارة واسعة تحيط بكل الانحاء المجاورة

وليس هناك محلات اخر ذات اهمية كبرى بين القدس ويافا تستحق ان نفتح لها مجالاً في هذه العجالة غير عمواس التي دعاها الرومانيون نيكوبوليس المذكورة في الانجيل . غير ان الثقاة اختلفوا كثيراً في حقيقة هذا الموقع فلا يسعنا المجال لسرد آرائهم فيه

العناصر الشرقية والتقريب بينها

﴿ نبذتان ﴾

واحدة للفيلسوف ابن رشد وواحدة لرئيس الكلية الاميركية في بيروت

لو سُئل الشرقي : اي عمل افضل الاعمال في بلادك . لاجاب ان افضل الاعمال ما كان متعلقاً بتآخي العناصر الشرقية المتعددة والتقريب بينها لتعيش بهدوء وسلام في ارض واحدة بدل ان تفني قواها في ما لا فائدة منه . ولذلك يسرنا دائماً ان نشير الى مانجده في طريقنا من دلائل الاعتدال والالفة وعوامل التقريب والتوفيق . ولقد عثرنا في هذا الشهر على اثرين رأينا من الواجب ان نشير اليهما . الاول فقرة لفيلسوف الاسلام ابن رشد مختصة بمسالة التثليث عند المسيحيين . فانه يرى فيها رأياً موافقاً لراي عقلاء النصارى اليوم كل الموافقة . واليك كلامه .

قال ابو الوليد رحمه الله في كتابه تهافت الفلاسفة يشرح مسالة النفس وصفاتها « (فان قيل) ان الفلاسفة يعتقدون ان النفس فيها امثال هذه الصفات وذلك انهم